

## المحاضرة الثانية :

### نشأة الأدب المقارن ومراحل تطوره

أ.م.د. علي مجيد البديري

جامعة البصرة / كلية الآداب

ارتبطت البدايات الأولى للأدب المقارن في فرنسا بشعور رواده ومنهم: فرديناند بروننير، بضرورة معرفة مستوى تطور الأدب الفرنسي من خلال مقارنته بتطور الآداب الأخرى، ومتابعة التحولات والتطورات الحاصلة في الأجناس الأدبية المختلفة، وفهم الطريقة التي تلقى بها الأدب الفرنسي التأثيرات الخارجية، وقد جاء هذا متزامناً مع بروز النزعة القومية الفرنسية، التي تمثلت بدعوة الفرنسيين إلى الكتابة باللغة الفرنسية. وارتبطت هذه البدايات بشيوع فعل المقارنة، وممارسة التحليل المقارن في المعارف المختلفة، إذ ظهرت الكتب المقارنة في علم التشريح والفيزيولوجيا، وأيضاً - وبشكل مقارنة عفوية غير ممنهجة - في النحو واللغة .

لقد أسهمت أحداث كثيرة في التهيئة لظهور الأدب المقارن في القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر في فرنسا، ومثلت هذه الأحداث تحولات نوعية في المجال الأدبي؛ تجلّت في اتساع الأفق الأدبي، وازدياد الاطلاع على مختلف الآداب الأجنبية من خلال النشاط الملحوظ للترجمة، وتعميق الصلات الفكرية بين فرنسا والبلدان الأخرى، وظهور الصحف والمجلات في كل مكان، الأمر الذي دفع فان تيغم إلى أن يعدّ السعي إلى تحقيق مقولة "العالمية الفكرية" من أهم سمات القرن الثامن عشر.<sup>(١)</sup>

وفي سنة ١٨٢٧ بدأ الفرنسي أبل فيبيان بدراسة علاقات الأدب الفرنسي بالآداب الأوربية من خلال محاضراته في السوربون، ثم تلتته جهود أخرى في هذا المجال .

ويعدّ كتاب فان تيغم (الأدب المقارن) الصادر عام ١٩٣١ أول كتاب ينظر للمقارنة بطريقة منهجية وعلمية، معتمداً في ذلك على المنهج التاريخي في دراسة الأدب، وقد مارس كتاب فان تيغم تأثيراً كبيراً على طبيعة فهم الأدب المقارن فيما بعد، وساد مبدأ (الدراسات الثنائية) - أي المقارنة بين طرفين اثنين - في الأدب الفرنسي المقارن ابتداءً من ثلاثينيات القرن العشرين، وامتد تأثيره إلى المنجزات

(١) ينظر: الأدب المقارن: فان تيغم: ٢١ - ٢٢

النظرية التالية لكتاب فان تيغم.<sup>(١)</sup> مثل كتاب ماريوس فرانسوا غويار (الأدب المقارن) الذي صدر عام ١٩٥١ وغيره.

وفي وقت لاحق، وضع رينيه إتيمل منهج المقارنة موضع تساؤل نقدي؛ مبتدئاً من التأسيس لرؤيته بقراءة ما كتبه المنظرون الفرنسيون في حقل المقارنة، ومناقشة الأفكار الواردة فيها؛ فهو يرفض مسألة التعصب المعلن والإقليمية في الدراسة المقارنة، لأنها لا تخدم إلا أعمالاً معينة لغرضٍ سياسي.<sup>(٢)</sup> وفي الواقع إن تجاوز ذلك يحقق تحوُّلاً أساسياً في النظر لطبيعة المقارنة، وينتقل بها من الانغلاق على أهدافٍ ضيقةٍ تتعد عن تحقيق الفائدة العلمية، إلى آفاق التواصل والثقاف فيما بين الثقافات المختلفة. ومن هنا كان فهم إتيمل الأدب المقارن بأنه الإنسانية التي تقوم على ممارسة التبادل.<sup>(٣)</sup>

انطلاقاً من ذلك عملت المدرسة الأمريكية على صياغة قراءتها لواقع الأدب المقارن وركائزه المنهجية، وعمدت إلى تقويضها ونقدها بشدة، وطرح رؤيتها البديلة. ولذا لا يمكن فصل الدعوة إلى التغيير التي قامت بها المدرسة الأمريكية عن العناية النقدية بالبناء الفني الداخلي للنص الأدبي، وما أحدثه ذلك من إعادة نظر بمفاهيم الأدب السائدة، وطبيعة الأجناس الأدبية وغيرها. فضلاً عن ذلك لا يمكن التغاضي عما للعامل الاجتماعي من دور في اكتساب المدرسة الأمريكية خصوصيتها، ولعل في انحدار معظم أساتذة هذه المدرسة وباحثيها من أصولٍ قوميةٍ مختلفة (تشيك، وألمانيا، وإيطاليا، وروسيا...)،<sup>(٤)</sup> ما يسهم في تفسير النزوع نحو التعددية، والانفتاح على الآخر بكل صوره وأشكاله، والتداخل فيما بين الثقافات المختلفة. وقد كان لهذه الظواهر دوراً مؤثراً وموجّهً داخل الأفق الذي تشكلت فيه الرؤية الأمريكية للأدب المقارن، مما هيأ ل طرح رؤيتها الجديدة التي تغاير ما اعتادته الدراسات المقارنة من معايير وشروطٍ ومجالاتٍ محددة.

لقد شهد الأدب المقارن مساهمات جادة لتطويره من قبل مقارنين سوفيت في أقطار شرق أوروبا الإشتراكية، وأواخر خمسينيات القرن الماضي، حيث تجسد ذلك في التأليف المشترك للعديد من الكتب التي تتناول الأدب المقارن نظرياً وتطبيقياً، وكان لندوة بودابست عام ١٩٦٢، والمؤتمر الخامس

(٢) ينظر: الأدب المقارن، مقدمة نقدية: سوزان باسنيث، تر: أميرة حسن نويرة، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ١٩٩٩: ٣٣، ٢٩، ٣٤.

(٣) ينظر: الوجيز في الأدب المقارن: مشترك، إشراف بيير برونييل، وإيف شيفريل، تر: د. غسان بديع السيد، د. م، ١٩٩٩: ٢٧.

(٤) ينظر: المصدر السابق: ٣٠.

(٥) ينظر: ما الأدب المقارن: بيير برونييل، كلود بيشو، أندريه ميشيل روسو، تر: د. غسان السيد، منشورات دار علاء الدين - دمشق، ط ١، ١٩٩٦: ٢٩.

للجمعية العالمية للأدب المقارن، في بلغراد ١٩٦٧ الدور الكبير في ظهور اتجاه مقارني جديد يركز على أهمية التشابهات النمطية بعيداً عن اشتراطات التأثير والتأثر.<sup>(٦)</sup> وهكذا يتسع مفهوم الأدب المقارن تحت سلطة الحراك الاجتماعي متجاوزاً دراسة التأثير المبنية على الثنائية القومية، ليشمل دراسة التشابهات الناتجة عن تشابه الظروف الاجتماعية في عدد من القوميات.

---

(٦) ينظر تفصيل ذلك في : مبادئ علم الأدب المقارن : إلكساندر ديما ، تر: د. محمد يونس، مراجعة: د. عباس خلف. دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ، ط ١ ، ١٩٨٧ : ٤٦-٤٧ ، مفاهيم نقدية : ٣٥١ ، مدارس الأدب المقارن ، دراسة منهجية : سعيد علّوش، المركز الثقافي العربي، ط ١ ، ١٩٨٧ : ١٢٨ ، وقد سميت هذه المدرسة بـ (السلافية) نسبة إلى لغات معظم منظرّيها الذين ينتمون إلى بلدان المعسكر الاشتراكي الناطقة باللغات السلافونية .